20000413-0009-L

مقالات

حادثة عين الرمانة وما أعقبها تناولتها الأقلام من زوايا مختلفة.
هنا بعض ما ظهر في "النهار" من تلك المقالات

من حقيبة النهار

حرب لبنان

مشل كيسينجر واغتيال الملك فيصل وأحداث لبنان والنزاعات العربية الجانبية بين مصر وليبيا وبين العراق وسوريا كلها تدخل في مسلسل خلط الاوراق الذي سيستمر ويتصاعد ليؤدي أما الى جنيف واما الى تحقيق اخطر هدفين. الاول انهاء المثال اللبناني الذي يضايق اسرائيل. والاخر الهاء العرب عن اسرائيل بمشاكلهم الداخلية.

لقد كانت اسرائيل حتى عشية مشل وزير الخارجية الاميركية تريد الخلاص باي ثمن من ثلاثة اطواق يشد كل طوق الخناق عليها بقوة ضغط مختلفة. طوق الوساطة الاميركية. وقد تخلصت منه بتفشيل صاحبها. وطوق التضامن العربي. وقد أدى اغتيال الملك فيصل الى هز هذا التضامن بل وتفكيكه. وطوق التجربة اللبنانية التي حملت قضية فلسطين الى الامم المتحدة. وقد جاءت الاحداث الحالية لتهدد هذه التجربة باخطر ما تهددت به في تاريخها. وسيتعاظم التهديد اذا لم تتدارك هذه الاحداث قوى لبنانية وفلسطينية وعربية ترى المستقبل وهي تحاول معالجة الحاضر.

ان اول ما يجب ان يتبادر الى الضمير اللبناني والضمير الفلسطيني والضمير العربي ضرورة المحافظة على لبنان وعلى الثورة الفلسطينية معا. والمحافظة يجب ان تستمر من ساعة الى ساعة ومن ليلة الى ليلة ومن حاجز الى حاجز بل ومن مواطن الى مواطن آخر.

ان محبة العرب للبنان وخصوصا محبة الوسطاء العرب للبنان ومحبة الفلسطينيين للبنان يجب ان تكون في هذه الساعات الصعبة بحجم محبة اللبنانيين للبنان وبحجم خوفهم على لبنان. كما ان التزام لبنان بالقضية الفلسطينية وبالتضامن العربي يجب ان يكون في هذه المرحلة الحرجة بحجم حب الفلسطينيين لقضيتهم وبحجم خوف العرب على تضامنهم.

ان حرب لبنان مع اسرائيل هي هذه الحرب الحالية. فاذا ربحتها اسرائيل تكون ردها على حرب تشرين. وتكون قد قامت بعملية عبور الى داخل الجبهة العربية من اكثر النقاط حساسية.

واذا لم تتوقف الحرب داخل لبنان ستتورط الدول العربية فيها بشكل او بآخر، مضطرة او مختارة، وتكون اسرائيل قد ابعدت عن نفسها الحرب العربية والحل السلمي معا والى امد بعيد. بل وابعدت حتى اي تحرك اميركي جديد كان مرشحا ليحدث.

ان الحرب داخل لبنان لا يستفيد منها احد. لا لبنان. ولا خاصة الثورة الفلسطينية. ولا العرب. انها اكثر من حرب الاشقاء. انها عملية انتحارية. لذلك من مسؤولية القوى اللبنانية والفلسطينية والعربية، وخصوصا من مسؤولية الامين العام للجامعة العربية، وقف التصعيد في العملية الانتحارية. وانقاذ لبنان والثورة الفلسطينية معا شرط اساسي لانقاذ القضية الفلسطينية والتضامن العربي.

ميشال ابو جوده

١٥ نيسان ١٩٧٥

لا للعزل

الجبهة المشاركة للثورة الفلسطينية، التي اتخذت مقررات «عزل» الكتائب ومقاطعتها، يؤسفنا أن نقول لها انها، هذه المرة، ساندت الكتائب اكثر مما ساندت الثورة...

كلام صريح مباشر نقوله للجبهة من غير حاجة الى التأكيد اننا لسنا اقل حرصا على الثورة من بعض الذين يريدون من «المشاركة» خدمة اهدافهم هم ومقاصدهم.

بل وأكثر: لا نفهم، ولا نظن صديقا لبنانيا للثورة الفلسطينية يمكن ان يفهم، كيف تحول «الجبهة المشاركة» نفسها الى هيئة محاكمة تصدر ما يشبه الحكم المعلل بإدانة الكتائب وطلب معاقبة الدول العربية لها، من غير أن يكون ذلك استدراجاً للثورة – ومن ورائها الدول العربية التي يمكن ان تتجاوب مع الادانة – الى التدخل في قضية لبنانية صرفة، مفروض فيها أن تظل، على حد كلام ياسر عرفات نفسه، في عهدة ومسؤولية السلطة اللبنانية والفرقاء اللبنانيين المعنيين.

ولا نخالنا نقول جديداً إذا نحن صارحنا، مرة أخرى، أصحاب فكرة «عزل» الكتائب بأنهم، عندما يتخذون مثل هذا القرار في مثل الاطار الذي اتخذوه من ضمنه، إنما يعززون موقف الكتائب، من حيث لا يدرون (او ربما يدرون ويريدون؟) تجاه القواعد التي تنتسب اليها، ويتسببون بالتفاف جماعات حول الكتائب كان يمكن أن تكون لها تحفظات عديدة حول سياستها.

ثم بعد، ان كلمة «العزل» تذكر بالانعزال والانعزالية.

والانعزالية نظرية لبنانية بذل ويبذل العديد من اللبنانيين جهداً كبيراً في سبيل القضاء عليها، لبنانياً.

وكان يقيننا، ولا يزال، ان الحوار – حتى في وجه العنف – هو الطريق الذي إذا سلكناه تجاوزنا عبره العزلة وقضينا على الانعزال وفتحنا العقول والآفاق.

أفلا يرى أصحاب قرار «العزل» انهم، بقرارهم، يقطعون على العقل والعقلاء هذا الطريق، ليتحالفوا هم أنفسهم مع الانعزالية إياها، بإعطائها مبررات جديدة، بل وبإقامة سياج لها حيث كانت تُهدم الأسوار؟

غسان تويني

٢٧ نيسان ١٩٧٥

ذلك هو قدرنا

بقلم النقيب رياض طه

عقد اجتماع، قبل ظهر أمس، في دار نقابة الصحافة، برئاسة النقيب رياض طه وحضور ثلاثين من أصحاب الصحف ومديريها ورؤساء تحريرها.

وعرض النقيب أوضاع البلاد ومساهمة الصحافة في تهدئة المشاعر وتخفيف التوتر، ثم ألقى كلمة تلاها نقاش اشترك فيه عدد من الزملاء، حول القضية الوطنية وضرورة تطبيق الرقابة الذاتية في دقة مع احتفاظ الصحف بحقها في نشر الانباء والتعليقات من دون اثارة وتحريض.

وقد اجمع المجتمعون على وجوب الالتزام بالرقابة الذاتية، بدوافع وطنية ونقابية، كما قرروا نشر كلمة النقيب كافتتاحية في كل الصحف. وهذه هي:

ان هذا الوطن لنا جميعا، ونحن جميعا مسؤولون عن استقراره وأمانه ووحدة بنيه. ولئن شذ مواطنون جاهلون، أو انتهازيون او مأجورون، فان أهل القلم والفكر مدعوون الى فضح الشذوذ وكشف الخطأ وأحباط المكيدة، لانهم يمثلون الوعي والنضج، ويعبرون عن ضمير الامة.

واذا كانت المسؤولية القانونية ملزمة، فان المسؤولية الادبية هي تجسيد الالتزام بالمثل والقيم والمبادىء. والالتزام أقوى من الالزام، لانه تطوع وتبرع وايثار وافتداء.

ومهما كانت المناصب الرسمية عظيمة التبعات، فان الدوافع الوطنية والقومية والانسانية كثيرا ما تحمّل ذوي النفوس المرهفة المخلصة تبعات قد تهيب بهم الى التضحية بالذات من أجل مصلحة الجماعة.

لذا كانت الصحافة اللبنانية دائما في طليعة رواد الكفاح، الذين بذلوا أرواحهم على مذبح الكرامة والانعتاق، في لبنان وبقية أقطار العرب.

اذ ليس في وسع اي مؤرخ ان يسجل حركات الانبعاث والنهضة والثورة في الشرق العربي، من دون ان يذكر صحافة لبنان، التي كانت تدفع الى المعركة بمن يضيئون السبيل بفكرهم، أو بمن يوقدون زيت مشعل الاستشهاد بدمهم.

ذلكم هو قدرنا، نحن الذين اخترنا حرفة الكلمة والنضال. انه قدر الذين يندبون أنفسهم للسير في عداد فرق الاستكشاف، واقتحام المخاطر، لحماية المجتمع، من دون ان يكلفهم قومهم تلك المهمة عبر انتخاب او استفتاء.

ان الشجاعة في تحدي القوة الغاشمة ليست أبلغ من الشجاعة في التفوق على الانانية وضبط الذات، بل الخضوع لحكم العقل والضمير. اليس قهر النفس هو الجهاد الاكبر؟

وهذا أوان الارتفاع الى مستوى الابطال بكبت الغضب ولجم الانفعال والانحناء أمام اقداس المصلحة العليا، لتوحيد القوى ورأب الصدع واجتناب الاقتتال.

وليس عسيرا على من تسلحوا بالحرف والحكمة والوطنية أن يكونوا قدوة للمواطنين المسؤولين، وصورة صافية للرأي العام الواعي السليم.

١٩ نيسان ١٩٧٥

الموقف هذا النهار

لبنان يحترق ايها السادة؟

... وماذا يريدوننا ان نكتب عن موقف الحكومة وموقف المسؤولين وموقف السياسيين وموقف الذين مع وموقف الذين ضد؟

حتى الوزراء يتهمون الحكومة بالتقصير والعجز. وحتى الوزراء يقولون ان الحكومة مسؤولة عن الخراب والدمار والدماء، لانها تأخرت في العودة الى لبنان وتأخرت في اخذ العلم بأن لبنان يحترق. وحتى الوزراء بدأوا يلحقون حالهم ويفرون طالبين النجاة تاركين المركب يغرق أو يحترق!

وبعد سقوط عشرات القتلى وعشرات الجرحى برصاص طائش وصواريخ طائشة، وبعدما فلت الحبل وفلت الملق وفلت البلد، فكرت الحكومة في اعطاء الاوامر بانزال الدرك...

ومع ذلك لم ينزل الا المزيد من الرصاص والمزيد من الصواريخ والمزيد من الدماء.

في كل حال، ماذا يفيد الآن توجيه الاتهام الى مسؤولين لا يهمهم من المسؤولية الا عزها ومغانمها وشعارهم كان وما زال «من بعد حماري لا نبت حشيش»... وان فوق جثث الابرياء وفوق برك الدماء وفوق الاشلاء والاطلال.

لو كان في لبنان رؤساء احزاب وسياسيون ونواب لما ترددوا لحظة في «خلع» الحكومة وتقديمها للمحاكمة.

ولكن على من تقرأ مزاميرك؟

... ولكن لا حياة لمن تنادي.

ان حرب لبنان التي تحرق في طريقها الاخضر واليابس ما هي الا نتيجة بل احدى نتائج غياب السلطة وضياع المسؤولية وتفشي الفساد والتعامي عن رؤية الواقع والحقائق. وما هي الا الدفعة الاولى من العواقب الوخيمة التي كنا نحذر منها بسبب ضعف المسؤولين وتخاذلهم ولامبالاتهم، ناهيك بالعقلية والاساليب.

فماذا يجدي اللبنانيين اليوم ان يقدم احد ورراء كمال جنبلاط استقالة صورية، واضحا من طريقة تقديمها انها للاستهلاك والمزايدة وذر الرماد.

وماذا ينفع لبنان ان يقول احدهم «اذا لم تتخذ الحكومة من الآن حتى غد التدابير الكفيلة بحفظ الامن، فانها تكون مقصرة وعندها مش لازم تبقى».

وماذا يرد عنه القول انه «لا يجوز تمييع القضية كما حصل في حوادث سابقة، شجعت وتشجع على تكرار امثالها بل وتفاقمها الى هذا الحد المخيف».

كان المطلوب، وما زال، رجلا واحداً يتحمل المسؤولية لا نكاية بهذا السياسي ولا مسايرة لذاك الحزب... ويتخذ قراراً باستعادة الدولة واستعادة الوطن.

ومن دون تلكؤ.

وبسرعة. اذا كان ثمة من يقدر ان يعمل شيئاً، ان لبنان يحترق ايها السادة!

فالناس الذين لم يموتوا بعد ولم تخرق الصواريخ منازلهم، يقولونها بصراحة: الدولة هي المسؤولة. لقد سيبت البلد وخولته الى غابة تعج بالسلاح والمسلحين وشجعت الخارجين على القانون وتغاضت وأدارت ظهرها وسكتت وسايرت... على حساب أمن المواطن وحياته وبيته ونومه بل على حساب لبنان.

... وماذا يفيد اللوم وماذا ينفع الاتهام.

فالى الآن يبحث المسؤولون في ما بينهم عن لحية لم يبوسوها بعد ليهرعوا اليها ويبوسوها ويتوسطوها.

ولبنان يحترق وينفجر ويتدمر. وحكمة الشعب تحولت الى خوف من رصاصة طائشة ان لم تكن هي الرصاصة الطائشة.

ومع ان الوقت فات جداً، فالمطلوب الآن اكثر من اي وقت مضى رجل في مستوى قرار مصيري.

الياس الديري

١٦ نيسان ١٩٧٥

رصاصه أحلام وبنادقه ضمائر

بقلم أنسي الحاج

كلهم أبرياء.

ليس الضحايا الابرياء وحدهم أبرياء، بل كذلك القاتلون.

القاتلون أيضاً أبرياء.

لأن المجرمين الحقيقيين هم الذين ما برحوا منذ فجر الاستقلال يقنعون كل فئة بأن الفئة الاخرى هي العدو.

المجرمون هم الذين شحنونا بالبغض والرعب والسلاح.

المجرمون هم الذين كانوا منذ فجر لاستقلال يعرفون أن ذلك سيحدث ولم فعلوا شيئاً لمنع حدوثه بل تركوه يتفاعل بحدث.

المجرمون هم الذين حجبوا عنا الاسباب ليتركونا ندفع ثمن النتائج.

المجرمون هم الذين، منذ فجر الاستقلال، تركوا الرشوة تبتلع أرض الوطن المادية والروحية، ومن مواقع مسؤولياتهم مدّوا الى الرشوة يد المصافحة أو غضّوا عنها طرف الجبن، عوض أن يقطعوها من جذورها.

المجرمون هم الذين تركوا الوطن يتدهور من جفاء الى انقسام ومن ضعف الى ذل ومن ذل الى قهر، فيتراكض أهله الى التسلّح ظناً منهم أن السلاح يعطيهم تلك الحصانة المفقودة، تلك الطمأنينة الهاربة، ظناً منهم أن السلاح يسلّحهم... ولم يعرفوا ان الوطن لا سلاح له غير شعبه، ولا سلاح له بشعبه ان لم يكن شعبه واحداً، واحداً أعزل من السلاح، أعزل الا من سلاح الحياة، دولة قوية، أعزل الا من سلاح الحياة، والمزيد من الحياة.

سلاح الحياة الذي هو الرحمة والعدل والمحبة.

سلاح الحياة الذي هو الارادة الواحدة المتحدة في التقدم المشترك.

سلاح الحياة الذي رصاصه أحلام وبنادقه ضمائر.

●●●

لن يشفى لبنان من هذه المحنة الا اذا انقلب على نفسه.

وينقلب على نفسه اذا رفض الاسباب التي اوصلتنا الى الفاجعة.

اذا رفض ان يظل محكوماً بتجاذب السلبيات.

لن يشفى لبنان من المحنة الا اذا خرج الى القوة.

والقوة ليست الارهاب.

القوة ليست العنف.

القوة ايمان ووحدة هدف. القوة شغف روحي وحق.

القوة هي أن يكون الشعب جبهة واحدة في مفهومه لقضايا المصير، فلا يعود في قدرة أحد أن يتسلل من تجزئته الطائفية وفوضاه العقائدية والانتمائية، الى العبث بوجوده وتخريب حياته.

اذا كان الامر قد وصل بالفلسطينيين الى أن يحملوا السلاح في وجه بعض اللبنانيين، فيجب ألا نلوم الفلسطينيين. لقد خدعناهم. فلو كان اللبنانيون واحداً لا نصفين لما وقعت حرب على الاطلاق. التنافر اللبناني هو الذي أوقع الفلسطينيين في فخ تناقضاتنا. لو كان للبنانيين موقف واحد يُجمعون عليه في قضاياهم الجوهرية، لكان ذلك يريحهم ويريح الفلسطينيين على السواء. فالفلسطينيون كانوا سينسجمون عندئذ من تلقائهم مع اللبنانيين – أياً كان موقف اللبنانيين شرط ان يكون في حدود العقل والانسانية – ولما كانوا يقعون في حيرة من أمرنا نتيجة بلبلتنا.

لكننا نحن اللبنانيين خدعناهم.

خدعناهم لاننا أخللنا في علاقتنا معهم، منذ البداية، المجاملة محل المصارحة، وخدعناهم لكي نستغل ثورتهم، سلباً وايجاباً، في مصالحنا السياسية، وخدعناهم كرهاً بعضنا ببعض.

هذه هي الحقيقة.

واذا كان الامر قد وصل ببعض اللبنانيين الى ان يحملوا السلاح في وجه الفلسطينيين، فيجب ألا نلوم هؤلاء اللبنانيين. لقد أخذت غرائزهم محل غياب الدولة والقانون، وأخذ الخوف محل الثقة الغائبة.

بلى، القتلى أبرياء والقاتلون أبرياء. كلهم مخدوعون.

المجرمون الحقيقيون هم الذين، منذ فجر الاستقلال، لم يروا من مصير لبنان غير مصالحهم وأحقادهم وجيوبهم.

المجرمون الحقيقيون هم الذين، منذ فجر الاستقلال، لم يفعلوا شيئاً لبناء الشعب الواحد.

المجرمون الحقيقيون هم الذين، منذ فجر الاستقلال، عرفوا كل فئة من أي حرمان تشكو ولم يفعلوا شيئاً لازالة الحرمان: فالمسلم المحروم اقتصادياً وسياسياً ازداد حرمانه وازدادت غربته الروحية عن الوطن. والمسيحي المحروم من الشعور بأن المسلم يشاركه في المفهوم نفسه لمعنى الوطن فينبضان معاً نبضاً واحداً حيال كل قضية أساسية من قضاياه، هذا المسيحي ازداد حرمانه. والفلسطيني المحروم – في مخيماته التي يفوق بؤسها الوصف – المحروم اقل حقوق العيش وأقل واجبات العناية والرحمة التي تفرضها بديهيات الاخلاق، فضلا عن حرمانه الاعظم، حرمانه ارضه ووطنه (وهو حرمان مهما بذلنا للتخفيف من آلامه سنظل مقصرين، فحرمان الارض والوطن لا يعوضه غير استرداد الارض والوطن) هذا الفلسطيني المقهور في حقه مرتين، ازداد حرمانه.

كل حرمان من هذه الحرمانات الثلاثة راح يتراكم من كبت الى كبت حتى انفجر.

لقد سمّى موسى الصدر حركته «حركة المحرومين»، كأنه، عن قصد أو بالحدس، كان يُطلق الشعار الحقيقي الوحيد الذي ينطبق، ولو بدرجات متفاوتة، على جميع الساكنين في لبنان، سواء المحرومين جهراً أو المحرومين في السر.

واذا أردنا أن نختصر مطالبنا من الحكم الجديد فقد نوجزها بهذه العبارة: ان يستأصل لدى الجماعات المحرومة من الشعور بالانتماء الكامل الى الوطن، اسباب هذا الحرمان.

وبكلمة حرمان نقصد كل معاني الكلمة. فالمحروم مادياً، في رزقه ولياقة عيشه، يتساوى، هنا، على صعيد النتائج السلبية، مع المحروم في طمأنينته النفسية والروحية.

الفلسطيني أصبح عنده من يعمل على استرداد حقه في وطنه. ويبقى الحرمان المادي في المخيمات. وهو وصمة ظلم على جبين الحكم اللبناني. ان قبول الحكم اللبناني باستمرار البؤس في المخيمات

– التتمة في الصفحة ١٢ –

٦ حزيران ١٩٧٥

رصاصه أحلام وبنادقه ضمائر

– تتمة المنشور في الصفحة ١ –

دون ان يسعى لازالته، جريمة تخني رأس كل لبناني خجلا وندماً. ان خطيئة الحكم اللبناني هي انه خلّط بين الضيافة والتكديس. الضيافة ليست في استقبال الضيوف وتكديسهم بعضهم فوق بعض ثم اهمالهم. الضيافة ليست كمية بل نوعية. والضيافة هي المساواة في المعاملة الانسانية.

يبقى حرمان المسلم وحرمان المسيحي.

●●●

إذا كان المسلم يطمح الى العدالة الاجتماعية وإلى المشاركة السياسية في أجهزة الادارة والحكم – وهي حق طبيعي من المؤسف الجدال فيه عوض العمل على تلبيته من دون أي اعتبار على الاطلاق غير اعتبار العدل – فإن المسيحي في لبنان يحتاج الى خبز من نوع آخر لعلّه أصعب توافراً من تلك الحقوق التي يمكن تأمينها بمرسوم أو قانون. انه خبز الكينونة الوطنية المعافاة، المتفتّحة بلا خوف، غير المجزّأة، غير الملجومة بتضحيات اصطناعية، وغير المكبوتة بتنازلات تصدر عن المجاملة عوض أن تنطلق من الايمان.

ان إزالة هذا الحرمان النفسي مرتبطة إلى حد بعيد، دون شك، بإزالة الحرمان السياسي والمادي الذي يعانيه المسلم. فبعض العلاقة بينهما هي علاقة المسبّب بالسبب. لكن فهم حقيقة الحرمان المسيحي يساعدنا لا على إزالته وحده فحسب، بل على إزالة حرمان المسلم أيضاً. فالحرمانان واقعان حتى الآن في ضباب كثيف من سوء الفهم.

إن مظاهر البحبوحة عند المسيحيين، عموماً، هي في الغالب مجرد مظاهر خارجية سطحية لم تستطع ولن تستطيع، رغم ازدهارهم الاقتصادي نسبياً، ان تخلّصهم من الحرمان الأعمق: حرمان العيش والعمل والانطلاق في وطن جميع اللبنانيين فيه يشاركونهم في التمسك به بالمقدار نفسه بالجذرية نفسها وبالايمان نفسه، ومن دون حساب.

هذا الحرمان لا يلغيه مجرد وجود رئاسة الجمهورية وبعض السلطات الرئيسية الأخرى في أيدي المسيحيين. هذه السلطات هي من العوامل التي تضفي على المسيحيين مظاهر البحبوحة ومظاهر السيطرة، إلا أنها مظاهر خدّاعة تحجب عن الناظر الى أعماق مسيحيي لبنان رؤية الحرمان الأعمق: الحرمان على صعيد الوجود والتفتح الكلي وليس فقط على صعيد الحقوق الاجتماعية. ففي كل بلد في العالم فئات بل شعوب تعاني حرماناً اجتماعياً ومادياً، ولكن كم هي الشعوب المحرومة من الاطمئنان الى كونها شعباً واحداً لا شعبين ووطناً واحداً لا وطنين ولا نصف وطن؟ إن هذا النوع من الحرمان يولّد في صاحبه كبتاً أعمق وأشد خطراً من كبت الظلم الاقتصادي، لأننا هنا لا نظلم الانسان في خبزه بل في كيانه وروحه، ولا نكتفي بأن نجوّعه فيثور، بل نخنقه من داخل وجدانه، فيجن.

وماذا ينفعه بعد هذا أن تكون في يديه الرئاسة والسلطات، وهو يشعر أنه بنصف جناح، بنصف امتلاء، بل بنصف روح وبنصف جسد، عاجز عن الانطلاق، عاجز عن الصيرورة، عاجز عن تحقيق ذاته، عاجز حتى عن الصدق؟

●●●

لقد خدعنا أنفسنا وخدعنا بعضنا بعضاً وخدعنا الفلسطينيين.

ولن نشفى من المحنة إلا بالاخلاص، ولن ننقذ لبنان إلا باستخلاص الوحدة من المحنة.

ومن أجل هذا يجب أن ينقلب لبنان.

ثمة وضع في لبنان يجب أن يموت.

الوضع الذي لا يعود فيه مكان للطمأنينة، ولا قيمة للكائن البشري، ولا متسع للفرح، هو وضع يجب أن يموت. الوضع الذي لا تعود فيه كمية من الهواء تكفي لنموّ النفوس نمواً طبيعياً في ظل الجمال وبقوّة المحبة، هو وضع يجب أن يموت. الوضع الذي لا تعود تعرف فيه إذا كان ما يدوّي فجأة هو قصف الرعد أو الصواريخ والقنابل والطائرات، هو وضع يجب أن يموت.

فلنتخلص من هذا الوضع بإرادة الخير التي فينا عوض أن نطيل عمره بزخم الشر. فلننهض بحياتنا.

ولا نستطيع أن ننهض إذا استمرت غاية الحياة في نظرنا هي المال. لا نستطيع أن نمنح وطننا السلام وشعبه نعمة النوم الهنيء إذا ظللنا نبيع كل شيء وننسى كل قضية في سبيل المال. لقد أخذ الانحطاط طريقه إلينا بالرشوة قبل أن يتحوّل الى التناحر الداخلي والارهاب. ولن ننهض من الانحطاط قبل أن نغيّر موقفنا من المال: قبل أن ندرك أن الوطن والأرض هما اغلى منه، وان الحياة الكريمة مع الفقر (والفقر ليس البؤس، بل هو الزهد مع الكَرَم والحرية) تصبح هي الثروة عندما تصبح شرطاً للنهوض والخلاص.

●●●

فلنعد الى السلام.

وإذا كان السلام يقتضي جهداً إخلاقياً خارق العادة، فلنقم جميعنا بإعادة بناء عالمنا، عالمنا الاجتماعي والروحي، فنعيد اليه الاخلاق.

وهذا ممكن إذا أردناه، وإذا فرضناه على القوى المسيطرة. وكي نفرضه عليها يجب أن نكون، أمام هذه القوى، إرادة واحدة. فالقوى المسيطرة لا مصلحة لها في التغيير، وهي لا تفكر إلا في ضمان الوسائل التي تكفل لها التفوق المادي بعضها على بعض وجميعها على الناس المغلوبين الضعفاء، سواء كانت تلك الوسائل السلاح الحربي او افتعال الازمات او استغلالها متى سنحت. القوى المسيطرة لن ترضخ لارادتنا في السلام، في التغير نحو عالم اخلاقي ومجتمع يخدم في الانسان نزعته الى السعادة، الا متى واجهت إرادة واحدة لا يفعل فيها التمييز ولا يشتتها تحريك غرائز الانشقاق. وإذا لم نستطع، نحن الشعب اللبناني، أن نصبح يوماً إرادة واحدة مرفوعة في اتجاه هذا الخير، فلن يكون هناك أمل في سلام لبناني، ولا في مستقبل لبناني، ولا في حياة لبنانية.

وسيصبح بيتاً مهجوراً ومسكوناً بروح الندم التائهة، هذا الذي كان بالأمس جنة وهو آتاه الى جحيم.

●●●

لمن نكتب والحرب وحش لا يسمع ولا يرى؟

نكتب لأولادنا.

علّهم، إذا بقي لهم وطن، لا يضيّعونه كما أضعناه.

ساعدهم يا الله.

اغفر لهم ذنوبنا، واغفر لوطني جرائمنا.

من الأعماق يبتهل إليك وطني الصغير،

من الأعماق يصرخ اليك:

«لا تتركني! لا تتركني!».

وحده وطني بين الأوطان لا يسعى الى حليف له في الأمم.

وحده وطني لا يطلب حليفاً له سواك.

اسمع صراخه،

جاوبه،

قل له، قل له يا الله: «السلام عليك يا لبنان».

ها هو راكع من أرزه حتى بحره.

سلامك عليه فيقوم ويمشي، رصاصه أحلام وبنادقه ضمائر.

نهاريات

«النجاح»

نسبي...

بما ان كل شر يمكن ان يوجد اكبر منه، فقد نجحت الحكومة في تجنيب لبنان الشر الاكبر!

فالحمد لله على السلامة!

المقتلى مئتان؟

كان يمكن أن يكونوا ثلاثمئة...

الجرحى ثلاثمئة؟

كان يمكن أن يكونوا ستمئة!

تحديت مئات المنازل والمعامل والمتاجر؟

كان يمكن أن تتهدم الالوف...

تأخرت قوى الامن خمسة أيام حتى البتت وجودها؟

كان يمكن أن تتأخر ستة أيام...

ظهر مليون قطعة سلاح في غير الايدي التي يجوز أن تحمل السلاح؟

كان يمكن أن يظهر مليونان...

النجاح نسبي!

والحكومة تستطيع أن تقول انها نجحت!

فاطلاق النار انحسر تقريبا والحياة تعود تدريجا الى سابق عهدها!

من يستطيع أن يحاسب الحكومة محاسبة عميقة على ما فعلته بالنسبة الى ما كان يمكن أن تفعله،

وعلى الثمن الذي دفعته البلاد من ارواحها وممتلكاتها ومنعتها ومستقبلها بالنسبة الى الثمن الذي كان يكفي أن تدفعه؟

طبعا الذين عندهم الصلاحيات والذين عندهم المعطيات:

يعني المجلس!

والمجلس في هذه العشرة ايضا لم يكتمل نصابه...

ويعني الصحافة الحرة!

والصحافة اذا لم يتزوج احد من حريتها تتزوج هي من حرية نفسها...

ويعني التاريخ!

والتاريخ لا يصدر حكمه الا امام حكومة وشعب لا يؤمنان بالنجاح اللعين بل بالنجاح المطلق!..

فلننتظر حكم التاريخ...

رشدي المعلوف

١٩ نيسان ١٩٧٥

١٥ نيسان ١٩٧٥

[20000413-0010-P]